أحلم رغم العتمة

لبنى خوني

احلم رغم العتمة

المقدمة :

إلى من يشبهونني...
إلى كل من عاشوا في الظل، وكتبوا الضوء في قلوبهم.
إلى التي وقفت أمام المرآة تبكي ثم مسحت دموعها وهمست لنفسها:
"سأواصل... لأنني لا أملك خيارًا آخر."

هذا الكتاب ليس قصة نجاح، ولا وصفة سحرية للعبور،
بل هو حكاية بنت جزائرية بسيطة،
اختارت أن تكتب عن أوجاعها بدلًا من أن تتركها تبتلعها.

أنا لبنى خوني،
لم أجد طريقًا مفروشًا بالورود،
لكنني كتبت طريقي بكلمات تنبض بالأمل، والصبر، والتمرّد الجميل.

إن كنت تبحث عن ضوء وسط العتمة،
فقد تجد هنا ما يذكّرك أنك لست وحدك.

الفهرس

1. أنا لبنى

2. بيتٌ لا يسمعني

3. دفتر البكالوريا

4. الفيزياء والدموع

5. اللغة التي لا تفهمني

6. أبحث عن منحة... أبحث عن معنى

7. تركيا في رأسي

8. الكتابة... حقيقتي الوحيدة

9. يوم في قلب الظل

10. أسير وحدي لكنني أرى

11. هل يعرفني غوغل؟

12. أنا التي لم تنتظر أحدًا

<u>الفصل الاول</u>: أنا لبنى

-أنا لبنى. ليس في اسمي شيء مميز... أو هذا ما اعتدت أن أظنه.

كنت أعيش كأنني ظلّ، أراقب العالم من نافذة لا تفتح.
لكني في داخلي، كنت أصرخ بحلم لا يسمعه أحد.

كانوا يظنونني هادئة، صبورة، من النوع الذي لا يعترض.
لكن الحقيقة؟
كنت فقط أتعلم كيف أتحمّل بصمت.
كيف أبني جدارًا داخليًا، لا تراه العيون، لكنه يحميني من الانهيار.

لم أكن متمردة. لكني لم أكن خانعة.
كنت ببساطة... أحاول أن أجد مكانًا لي في هذا الزحام.

—

<u>الفصل الثاني</u>: بيت لا يسمعني

البيت... من المفروض أن يكون حضنًا، لكنه كان عندي جدرانًا فقط.
جدران سميكة لا تُنصت، لا تسأل، ولا تهتم إن كنت أتنفس أم أختنق.

كل كلمة أحاول أن أقولها، تُكتم.
كل ألم أشعر به، يُهمل.
وكل مرة أفتح فمي لأعبّر، كان الصدى يعود لي وحدي.

كان أبي يرى أن الكلام ضعف، وأمي ترى أن البنت لا تشتكي.
وكنت أنا... أنضج قبل وقتي، وأنا أحمل همومي الصغيرة وحدي.

أحيانًا كنت أصرخ في وسادتي، فقط لأتذكر أن لي صوتًا.
وأحيانًا كنت أكتب كلمات على الورق، ثم أمزقها، لأن لا أحد سيقرأ.

في ذلك البيت، تعلمت أن أكون قوية... لا لأنهم علموني، بل لأنني لم أجد أحدًا يحميني.

—

الفصل الثالث: دفتر البكالوريا

هو دفتر، فقط دفتر...
غلافه رمادي، أوراقه مكرمشة من كثرة ما قلبتها.
لكنه كان أكثر من مجرد كراس.
كان ساحة معركة.

كل صباح أفتحه وأنا أرتجف،
أقرأ دروسًا لا تفهمني، وأحاول أن أفهمها وكأنني أترجم من لغة لا أعرفها.

الرياضيات؟
تبدو ككائن غريب يرفض أن يصادقني.
والفيزياء؟ كأنها تنتقم مني كل مرة أرفع فيها القلم.

لكني رغم خوفي، لم أستسلم.
كنت أذاكر وأنا أشعر أن الوقت يركض، وأنا ألهث خلفه.

وفي كل صفحة أخطّ عليها ملاحظة، كنت أكتبها وكأني أكتب رسالة مقاومة:
"لن أتراجع... حتى لو بكيت."

دفتر البكالوريا لم يكن أوراقًا فقط.
كان مرآة لقلقي، لسهر الليالي، ولأحلامي المعلقة.

—

الفصل الرابع: الفيزياء والدموع

الفيزياء... لا أعرف لماذا تؤلمني بهذا الشكل.
كل قانون فيها يبدو كأنه لغز،
وكل مسألة هي معركة ذهنية أخرج منها منهكة، حتى لو كنت على حق.

أفتح الكراس، أرى الرسومات، المعادلات، الوحدات،
وأشعر أن شيئًا في داخلي يريد البكاء.

لم أكن غبية، أعلم ذلك...
لكن الفيزياء كانت تتعامل معي كأنني دخيلة على عالمها.

كان الدرس يبدأ، وأنا أضع يدي على خدي.
أنظر في السبورة، أرى الأرقام ترقص... وليس أحد يوقفها لأفهم.

كم مرة خرجت من القسم ودمعة في عيني؟
كم مرة عدت للبيت وفي يدي صفر من عشرة؟

ومع هذا... لم أكرهها.

لأنني كنت أعلم أن الألم منها، هو أيضًا طريق للعبور.

كنت أبكي... ثم أمسح دموعي،
وأقول لنفسي: "سأفهمك، حتى لو كرهتيني."

—

الفصل الخامس: اللغة التي لا تفهمني

الفرنسية...
لغة كتبت بها الدروس، الامتحانات، وحتى الأحلام التي لا أستطيع ترجمتها.
لكنها لم تفهمني يومًا.

كنت أقرأ النص، وأشعر كأنني أسبح في بحر لا أعرف عمقه،
كلمات تبدو مألوفة لكنها لا تصل،
وكأن بينها وبين قلبي حائط زجاجي لا يُكسر.

في القسم، يُطلب منا التعبير، وأنا أعجز عن جملة واحدة.
أفكر بالعربية... وأتلعثم بالفرنسية.
كأنني لست أنا.

أما الإنجليزية؟ فكانت الأبعد... لغة العالم،
لكنها بدت كأنها لا تعترف بوجودي أصلًا.

كنت أحاول... أحفظ، أكرر، أترجم.
لكن هناك دومًا حاجز، حاجز اسمه: "لم أتعلمها من الحياة، بل من الورق."

ومع ذلك، لم أستسلم.
لأني كنت أعرف أنني إن أردت أن أُسمَع، يجب أن أتقن لغتهم.

—

الفصل السادس: أبحث عن منحة... أبحث عن معنى

في أحد الأيام، بينما كنت أتصفح هاتفي بهدوء،
ظهر إعلان صغير: "منحة دراسية في تركيا".
عيني لمعت، وقلبي ارتجف.

"هل يمكن...؟ هل من الممكن فعلًا أن أخرج من هذا المكان، وأبدأ من جديد؟"

لم تكن المنحة فقط فرصة للدراسة.
كانت طوق نجاة، مخرجًا من العتمة،
ودليلًا على أن أحلامي ليست مستحيلة كما يظن البعض.

بدأت أبحث، أقرأ، أدوّن الشروط،
كأنني أحضّر لجناحيّ قبل الطيران.

كل من حولي لم يفهم،
قالوا: "من أين لك؟ كيف؟ هل تمزحين؟"
لكنني كنت أبتسم بصمت.

<u>الفصل السابع</u>: تركيا في رأسي

تركيا... ليست مجرد بلد على الخريطة،

بل فكرة كنت أعيشها في رأسي منذ سنين.

شوارع إسطنبول، الجامعات، المساجد، البحر،

وصوت الأذان الذي يشبه نداء داخلي: "تعالي، هنا الحياة مختلفة."

كنت أراها ملاذًا، عالمًا جديدًا أتنفس فيه من الصفر.

هناك، لن يسألني أحد من أنا... بل ماذا أريد أن أكون؟

كل مرة أدرس أو أبحث عن معلومات، كنت أقترب أكثر.

أكتب مقالات، أترجم، أتعلم اللغة،

وأقول لنفسي: "تركيا ليست حلمًا بعيدًا... إنها وجهتي القادمة."

قد لا أملك المال، ولا الوساطة،

لكن أملك شيئًا لا يُشترى: الإصرار.

—

<u>الفصل الثامن</u>: الكتابة... حقيقتي الوحيدة

حين أتعب، لا أصرخ.

حين أفرح، لا أقفز.

أنا فقط أكتب.

الكتابة كانت صدري حين لم أجد حضنًا،

وكانت صوتي حين خذلني الجميع.

في كل صفحة، كنت أضع قلبي.

لا أخاف من الأخطاء، ولا من أن يضحك أحد.

لأني كنت أكتب لي، لا لهم.

بدأت أدون كل ما أعيشه،

كل ألم، كل فكرة، كل لحظة شعرت فيها أنني "موجودة".

الكتابة أنقذتني من الغرق،

وكانت دائمًا تهمس لي:

"أنت لست وحدك... أنا معك."

<u>الفصل التاسع</u>: يوم في قلب الظل

بعض الأيام تمر كأنها غير محسوبة من عمر العالم.
أفتح عينيّ، ولا أجد صوتًا يناديني،
ولا أحد يسأل: "كيف حالك اليوم؟"

أتحرك كأنني شبح في بيت أعرفه ولا يعرفني.
أعدّ الساعات، أراقب ضوء الشمس يتحول إلى ظلمة... دون أن يشعر بي أحد.

أتصفح الهاتف... لا رسائل.
أفتح الكتاب... ولا عقل.
أحدّق في السقف... وأفكر، فقط أفكر.

أيام تمر هكذا، في قلب الظل،
لا بياض فيها، ولا سواد... فقط رماد.

لكن رغم كل شيء،
كنت أتمسك بفتات الأمل.

كنت أقول: "غدًا، سيختلف الأمر... ولو قليلًا."

—

الفصل العاشر: أسير وحدي لكنني أرى

ربما أنا وحدي في هذا الطريق.
أمشي وخطايَ ترتجف، ولا أحد بجانبي ليمسك بيدي.

لكن الغريب... أنني أرى.
أرى أشياء لا يراها من يمشون مطمئنين في جماعة.

أرى حزني يتحول إلى دروس،
وألمي يصير دليلًا.

كل خطوة أخطوها، مهما كانت بطيئة،
هي مني... نابعة من إصراري.

صحيح أنني أسير وحدي،
لكن وحدتي جعلتني أعرف نفسي أكثر.

وفي عمق تلك الوحدة،
وجدت بصيصًا من نور... لا يراه إلا من سار في الظلمة طويلًا.

—

الفصل الحادي عشر: هل يعرفني غوغل؟

كنت أكتب اسمي أحيانًا في محرك البحث...
"لبنى خوني"
ولا شيء يظهر.

وكأنني لا أوجد في هذا العالم الرقمي،
وكأن كل ما مررت به، لم يُكتب له أن يُعرف.

كنت أقول لنفسي:
"هل سأبقى دائمًا مجرد فتاة بين آلاف، لا يسمعها أحد؟"

لكن في أعماقي، كنت أعلم أنني سأغيّر ذلك.
ليس لأني أبحث عن شهرة فارغة،
بل لأني أريد أن أترك أثرًا،
أن يجد أحدهم يومًا قصتي ويقول: "أنا مثلها... ويمكنني أن أنهض."

سأجعل غوغل يعرفني،
لكن ليس لأنه يجب أن يعرف،
بل لأنني سأكون شخصًا يستحق أن يُعرف.

—

الفصل الثاني عشر: أنا التي لم تنتظر أحدًا

لم أكن الأذكى، ولا الأغنى، ولا الأقوى.
لكنني كنت شيئًا لا يُكسر بسهولة.

كنت أنا التي بكت كثيرًا... ثم مسحت دموعها بنفسها.
أنا التي خذلها أقرب الناس... لكنها سامحت ومضت.
أنا التي حلمت وسط العتمة... ولم تنتظر أحدًا لينير الطريق.

كل ما وصلت إليه،
كان بجهد قلبي، وعرق سري، وصوت داخلي يقول:
"استمري... ولو زحفًا."

أنا لبنى خوني.
وهذا ليس فقط كتابي...
بل شهادة أنني عشت، قاومت، وكتبت النور بيدي.

—

النهاية

وصلتُ إلى نهاية الصفحات...
لكن ليست هذه نهاية حكايتي.

كل كلمة كتبتها هنا كانت خطوة...
خطوة للهروب من الصمت،
خطوة نحو نفسي الحقيقية.

قد لا أكون مشهورة،
وقد لا يعرفني غوغل بعد،
لكنني الآن أعرف نفسي أكثر.

وهذا وحده كافٍ.

أنا لبنى خوني،
و"أحلم رغم العتمة" ليس فقط عنوانًا،
بل عهدٌ قطعته على نفسي... أن لا أتوقف أبدًا عن الحلم،
مهما اشتد الظلام.